سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {٣} أقسام التوحيد

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية
للعلوم الشرعية بالضالع

٩/صفر/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {٣} أقسام التوحيد

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٩/صفر/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أقسام التوحيد

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه ذكر أهمية توحيد الله، وذكر شيء من فضائله وثمراته التي تترتب عليه في الدنيا والآخرة، وقد دل استقراء القرآن علىٰ أن هذا التوحيد الذي هو أعظم واجب علىٰ العبيد، دل استقراء القرآن علىٰ تقسيمه إلىٰ

ثلاثة أقسام، بمعرفة هذه الأقسام؛ يعرف العبد معنىٰ التوحيد، بمعرفة هذه الأقسام؛ يقدر العبد علىٰ تحقيق توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

وهذه الأقسام التي دل استقراء القرآن، والتي ذكرها كثير من أهل العلم وأئمة هذا الدين هي:

١- توحيد الألوهية.

٢- وتوحيد الربوبية.

٣- وتوحيد الأسماء والصفات.

ولا يتم توحيد العبد إلا بتحقيق التوحيد بهذه الأقسام كلها.

توحيد الله تعالىٰ في ألوهيته وأنه الإله المعبود وحده لا شريك له، وتوحيد الله تعالىٰ في ربوبيته وأنه الرب الخالق المالك المدبر، وتوحيد الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته.

وقد دل عليها قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥]، فقد تضمنت هذه الآية أقسام التوحيد الثلاثة، ودل عليها قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [سورة الفاتحة:١-٥]، بل القرآن كله من أوله إلىٰ آخره وكل آية منه؛ في الدعوة إلىٰ توحيد الله سبحانه وتعالىٰ وفيما هو من مقتضياته ومستلزماته.

فالقرآن لا يخرج في عمومه عن ثلاثة أقسام، كل ما دعا إليه القرآن لا يخلو من واحد من هذه الثلاث:

١- دعا القرآن إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، دعا إلىٰ تحقيق حق الله وحث علىٰ حق الله وما له من الأسماء والصفات، وهذا القسم الأول الذي تضمنه القرآن.

٢- والقسم الثاني ما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام.

٣- والقسم الثالث ما فيه من القصص والأخبار عن السابقين.

فلا يخرج ما في القرآن عن هذه الثلاث، إما أمر بعبادة الله وتعظيم لله وبيان حقه؛ وهذا هو التوحيد، وإما الأمر والنهي وسائر الأحكام، وهذه من مستلزمات التوحيد، فإن امتثال الأمر واجتناب النهي من تحقيق توحيد الله تعالىٰ، وإما قصص وأخبار، فيها قصص الصالحين الموحدين وكيف أكرمهم الله وأنجاهم وأعزهم، وفيها قصص المخالفين للرسل المشركين بالله وكيف أهلكهم الله ودمرهم، وكل ذلك دعوة إلىٰ التوحيد، فقصص المؤمنين الموحدين الصادقين داعية إلىٰ توحيد الله حتىٰ يحصل للموحد كما حصل لهم من النصر والعز والتمكين والنجاة والسلامة، وقصص المشركين والمخالفين للرسل هي داعية إلىٰ التوحيد محذرة للعبد من فعل هؤلاء المشركين، حتىٰ لا يصيبه ما أصابهم من العقوبة والنكال في الحياة الدنيا.

فالقرآن إذاً كما قال الإمام ابن القيم كل آية في كتاب الله فهي متضمنة للتوحيد داعية إليه. لأهمية هذا الأمر العظيم، فكان معرفة هذه الأقسام الثلاثة التي هي أقسام التوحيد وفهمها مما يعين العبد علىٰ تحقيق توحيد الله -جل وعلا-.

القسم الأول منها: توحيد الله تعالىٰ في ألوهيته، وتوحيده في ألوهيته بمعنىٰ أن يفرد الله تعالىٰ بأفعال العباد، أن تكون أفعال العباد كلها لله سبحانه وتعالىٰ وحده لا شريك له، صلاتهم وصيامهم ودعاؤهم ونذرهم وطوافهم واعتكافهم وذبحهم وتقربهم لله سبحانه وتعالىٰ، وهكذا خوفهم ورجائهم وتوكلهم ورغبتهم ورهبتهم كل ذلك من

الله سبحانه وتعالىٰ وحده، فهذا توحيد الألوهية، أن يجعل العبد كل أفعاله التي هي العبادات لله سبحانه وتعالىٰ، لا يشرك فيها مع الله أحدا، لا يدعو غير الله، ولا يخاف غير الله كما يخاف الله، ولا يتقرب إلىٰ غير الله بأي شيء من أنواع العبادات، قال الله سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، اعبدوا الله كل عباداتكم اجعلوها لله، لا تشركوا به في ذلك أحدا، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥]، هذا الذي أُمر العباد به أن يخلصوا العبادة لله -جل وعلا- وحده.

ويجب علىٰ العبد أن يتعلم ما هي العبادة، يجب علىٰ العبد أن يعرف ما هي العبادات حتىٰ لا يصرف شيئًا منها لغير الله، فإن الإنسان قد يكون جاهلاً بمعنىٰ العبادة فيفعل بعض الأفعال لغير الله ويخفىٰ عليه أنها عبادة.

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فكل قول وكل فعل يحبه الله ويرضاه فهو من العبادات، لا يجوز أن تصرفه لغير الله -جل وعلا-، الإله واحد لا يجوز للمسلم أن يتخذ إلها مع الله، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ [سورة النحل:٥١]، ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [سورة الإسراء:٢٢]، ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [سورة القصص:٨٨]، فالإله واحد، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي في السماوات والأرض ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [سورة الأنبياء:٢٢]، لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لفسدت السماوات والأرض وما استقام أمرهما ولا صلح حالهما، فالإله واحد يجب علىٰ العبد أن يفرده بالعبادة وأن يخلع عبادة سواه، وهذا أهم واجب

عليك أيها المسلم، خلقك الله لأجله، أوجدك في الحياة لتحقيقه، أن تعبد الله وحده لا شريك له.

سأل النبي ﷺ معاذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في الصحيحين خ(٢٨٥٦) م(٣٠-٤٩-) فقال: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟**»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**». هذا حق أوجبه الله علىٰ كل مسلم أن يعبدوه سبحانه ولا يشركوا به شيئاً.

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ**» وفي رواية: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**». (١)

هذا هو الذي أوجبه الله علىٰ العبد، أن يوحد الله -جل وعلا-، وأن يخلع كل من سواه، وسيأتي ما هي الأمور التي تنافي ذلك وهي كثير، فعبادة العبد بأي نوع من العبادات سواء كان بالصلاة والسجود أو بالذبح أو بالنذر أو بالدعاء أو بالخوف أو الرجاء أو التوكل أو كان بالحلف باللسان أو كان ببعض الألفاظ في اللسان صرفها لغير الله ينافي هذا التوحيد، يخالف هذا التوحيد، وهذا التوحيد وهو القسم الأول هو الذي دعت إليه كل الرسل، فكل الرسل بعثهم الله بالدعوة إلىٰ هذا التوحيد، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، اعبدوا الله اجعلوا عبادتكم لله واجتنبوا الطاغوت، والطاغوت هو كل من سوىٰ الله مما يعبد من دون الله، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٥]، هذا الذي أوحاه الله إلىٰ

---

(١) رواه مسلم (٢٣-٣٧-)، وأحمد (١٥٨٧٥)، عن طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كل الرسل، أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالىٰ، فواجب عبادته وإفراده بذلك، وهذا النوع من التوحيد هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، فمن أتىٰ به فقد حقق معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

القسم الثاني من أقسام التوحيد: هو الذي يسمىٰ بتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله بأفعاله، فنعتقد أنه هو الرب، أنه هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، الذي يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، الذي يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، كل ذلك من ربوبيته سبحانه، فهو الرب، هو الخالق لا خالق إلا الله وغير الله لن يخلقوا شيئًا مهما بلغوا، لا رازق إلا الله وغير الله لن يرزق شيئًا وإن أجرىٰ الله تعالىٰ أسباب الرزق علىٰ يد بعض خلقه لكن الرازق هو الله، والله هو المدبر هو المتصرف في الكون هو الذي يدير أمر هذا الكون، لا أحد يقدر علىٰ مشاركته سبحانه وتعالىٰ في ذلك أو فعل شيء في خلقه سواه سبحانه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٤] إلىٰ آخر الآيات، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفاتحة:٢]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [سورة الروم:٤٠]، كل ذلك لله، هو المنفرد به وحده سبحانه دون من سواه.

وهذا النوع من التوحيد فُطر عليه الخلق، هذا النوع من التوحيد كان المشركون الأولون في زمن النبي ﷺ وقبله يقرون به في الجملة ويؤمنون به ولا يخالفون فيه، وقد دل القرآن علىٰ ذلك كثيرا، قال الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ

﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [سورة العنكبوت:٦١]، إذا سألت المشركين يا رسول الله، من خلق السماوات والأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر؟ ليقولن: الله، لا يخالفون في ذلك، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة العنكبوت:٦٣]، لا يخالفون في ذلك، ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة يونس:٣١] لا يخالفون فيه، كانوا يقرون به عموماً، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩] هذه الآيات كلها في المشركين، كانوا يقرون بهذا التوحيد لا يخالفون فيه، وهذا في الجملة عموماً وإن وجد من بعضهم شرك في ذلك.

وهذا نوع من التوحيد لا يكفي في دخول العبد إلىٰ الإسلام، فكما سمعت أن الله قد أخبر به عن كفار قريش وغيرهم من مشركي العرب أنهم كانوا يقرون به ولم ينفعهم ذلك في الدخول في الإسلام، هذا النوع من التوحيد يخطئ بعض الكتاب اليوم وبعض المؤلفين ويقول إنه هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل والذي يدخل به العبد في الإسلام، وهذا من الخطأ الكبير.

نعم، هو مما دعت إليه الرسل ولكن الأول الذي هو توحيد الألوهية كان أعظم مقصود للرسل؛ لأن هذا النوع من التوحيد وهو الربوبية لم يخالف في كبير أحد، بل الفطرة تدل عليه إنما خالف فيه عتاة الخلق المتجبرون منهم وخالفوا فيه عن جحود

واستكبار مع إقرارهم به في نفوسهم كفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النازعات:٢٤] دعا الربوبية، وكالنمرود الملك العظيم (الذي كان في زمنه) الذي حاجه إبراهيم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ﴾-النمرود- ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨] فأتىٰ برجلين من السجن قد حُكم عليهما بالقتل، فعفا عن أحدهما وقتل الآخر، قال: ألم أقل لك أني أحيي وأميت، هذا أحييته وكان محكومًا عليه بالقتل وذاك قتلته، ادعىٰ هذا الأمر، ففلجه إبراهيم بالحجة، قال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨]، شاهدنا من ذلك أن هذا النوع من التوحيد لم يخالف فيه إلا عتاة من عتاة الخلق في الأزمنة الأولىٰ، وخالف فيه من عتاة الخلق في مثل هذه الأزمنة كالدهريين والطبائعيين والشيوعيين وأمثالهم الذين كانوا يكذبون بتوحيد الربوبية استكبارا وعنادا ونفوسهم تكذبهم بذلك.

فإذا، هذان قسمان، القسم الأول هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل، هو الذي يدخل به العبد في الإسلام، والتوحيد الثاني هو أيضًا مما دعت إليه الرسل ولكنه لا يكفي وحده في الدخول إلىٰ الإسلام فقد أقر به المشركون ولم ينفعهم ذلك، نسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس.

القسم الثالث من أقسام التوحيد؛ توحيد الأسماء والصفات، فالله تعالىٰ له أسماء وله صفات، وتوحيده فيها سبحانه أن نفرده بذلك، أن نفرد الله -جل وعلا- بما سمىٰ أو وصف به نفسه أو سماه أو وصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فما سمىٰ الله به نفسه أو سماه به رسوله أز وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فواجب أن نفرده بذلك ولا نسوي به غيره فيه، فإن الله ليس كمثله شيء، كما قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورىٰ:١١]، إذا، هو منفرد في الأسماء والصفات، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النحل:٦٠]، أي ليس لغيره فيه، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]، أي وليس ذلك لغيره، وقال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم:٦٥]، هل تعلم من يساميه ويساويه ويماثله؟ لا يمكن أن يوجد ذلك، وقال الله تعالىٰ في سورة الإخلاص التي هي صفة الله -جل وعلا- كما جاء في حديث صاحب السرية في الصحيحين خ(٧٣٧٥) م(٨١٣ -٢٦٣-) الذي بعثه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكان يصلي بأصحابه إماماً ويختم الصلاة بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الإخلاص:١]، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**». فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**». فهذه السورة سورة الإخلاص صفة الرحمن،

وانظر ماذا قال الله فيها! كيف أفرد نفسه فيها! ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، هو أحد في أسمائه وفي صفاته وفي ألوهيته وفي ربوبيته لا يساويه أحد، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:١-٤]، ليس له من يكافئه ولا من يساويه -جل جلاله- سبحانه وتعالىٰ، فهذا توحيد الأسماء والصفات نفرد الله -جل وعلا- بما له من الأسماء وبما له من الصفات، فإنه لا يساويه فيها أحد.

ويذكر أهل العلم أن أسماء الله تعالىٰ نوعان:

١- **أسماء لا تطلق إلا علىٰ الله** -جل وعلا- كاسم الجلالة (الله) وكـ(الرحمن) وكـ(الصمد) ونحوها من الأسماء التي لا تطلق إلا علىٰ الله -جل وعلا- ولا يجوز أن يسمىٰ بها غير الله، فلا يجوز أن يسمىٰ أحد بـ(الرحمن) ولا بـ(الصمد) ولا بـ(الله) ولا بـ(الأحد) هذه أسماء خاصة بالله.

٢- **ومنها أسماء أُطلقت في القرآن علىٰ الله وأُطلقت علىٰ غيره**، أطلقها الله وسمىٰ بها نفسه وسمىٰ بها خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورىٰ:١١]، قال ذلك في نفسه، وقال في الإنسان:﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [سورة الإنسان:٢]، فسمىٰ نفسه بـ(السميع البصير) واطلق علىٰ المخلوق (سميعا بصيرا)، سمىٰ نفسه بـ(الملك) وسمىٰ بعض خلقه بـ(الملك) ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف:٧٢]، سمىٰ نفسه بـ(العزيز) وسمىٰ بعض خلقه بـ(العزيز) ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [سورة يوسف:٥١]، سمىٰ نفسه بـ(الرؤوف الرحيم) وأطلق علىٰ غيره (الرؤوف الرحيم) ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، فهذه الأسماء كما قال أهل العلم توحيد الله تعالىٰ فيها بأن تُستعمل في حق الله بالمعنىٰ الذي يليق بالله، وأما إذا استعملت في غيره فهي علىٰ حسب نقص ذلك المخلوق، وأما إذا لوحظ في اسم المخلوق المعنىٰ الذي هو في اسم الله فيجب تغييره، ولذا غير النبي ﷺ الحكم حين لوحظ فيه اسم الله مع أن غيره من الصحابة كان يسمىٰ بالحكم ولم يغيره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لَمَّا وَفَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّىٰ أَبَا الْحَكَمِ؟**»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**». قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ. قَالَ: «**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**». قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**». (١)

فهذا الرجل لما لوحظ فيه المعنىٰ الذي هو الحُكم بين الناس غيره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهذه الأسماء التي تطلق علىٰ الله وتطلق علىٰ غيره، إذا أُطلقت علىٰ الله فمعناها يليق بجلاله وكماله سبحانه، وأما إذا أُطلقت علىٰ المخلوق فمعناها يناسب حال المخلوق يناسب ضعفه وقصوره، أما إذا لوحظ في اسم المخلوق المعنىٰ الذي هو لله فهذا يغير كما غير النبي ﷺ أبا الحكم إلىٰ أبي شريح، وإلا فالأصل هو إفراد الله بما سمىٰ به نفسه أو سمىٰ به رسوله أو وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، فكل ما له من الأسماء ومن الصفات لا يماثله أحد فيها لا في لفظها ولا في معناها، فله من لفظها

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥٥) عن شريح بن هانئ بن يزيد، وصححه الألباني.

اللفظ الكامل التام وله من معناها المعنىٰ الذي لا يساويه فيه أحد، فهذا القسم الثالث من أقسام التوحيد؛ توحيد الأسماء والصفات، فلا يتم توحيد العبد إلا بهذه الثلاثة من أنواع التوحيد وأقسامه التي دل عليها كلام الله -جل وعلا- في كتابه والتي دعا إليها القرآن من أوله إلىٰ آخره فهو دعوة إلىٰ هذه الثلاثة الأقسام فمن حققها وآمن بها نجا في الدنيا والآخرة.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا علما ينفعنا .

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتي نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

٩ / صفر/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع